حقيقة الشفاعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓ

.. لقد تمّ تشويه مسألة الشفاعة (من قبل الكثيرين الذين يحسبون أنفسهم أوصياء على منهج الله تعالى) بتصويرها وساطة كوساطة البشر ، دون معيار حقٍّ أو عدل .. فالكثيرون من أصحاب المعاصي ومن المقصّرين في عبادتهم لله تعالى ، ومن ناشري الفساد ، يتّكلون على هذه الشفاعة بحجّة أنّهم مُسلمون ..

وهناك بعض الروايات (في كتب الصحاح) التي تناقض دلالات القرآن الكريم مناقضة صريحة ، تعطيهم حيثيّات هذا التواكل .. لذلك علينا أن ندرس مسألة الشفاعة من كتاب الله تعالى لنرى حقيقتها وحدودها ..

.. ولنبدأ بوضع ما تحمله روايات الشفاعة من معانٍ ودلالات ، في معيار القرآن الكريم ، كخطوة نحو إدراك حقيقة الشفاعة ، ونحو تنزيهها عمّا أُلصق بها من افتراءٍ على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ ..

[١] – إنّ الجزمَ بأنّ شفاعة الرسول ﷺ هي لأهل الكبائر من أمّته ، اعتماداً على الأحاديث التالية ، يتناقض مع الكثير من آيات القرآن الكريم ..

سنن الترمذي – حديث (٢٣٥٩) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَنَسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي .....

سنن أبي داود – حديث (٤١١٤) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي

مسند أحمد – حديث (١٢٧٤٥) :

..... عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي

سنن ابن ماجة – حديث (٤٣٠٠) :

..... عَنْ جَابِرٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي

[أ] – لننظر إلى الصورتين القرآنيّتين التاليتين :

﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١]

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى ۝ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ﴾ [النجم : ٣١ – ٣٢]

إنّنا نرى – في هاتين الصورتين القرآنيّتين – أنّ الله تعالى يُكفِّر عنّا سيئاتنا إن اجتنبنا كبائر ما نُنهى عنه ، وأنّ الذين أحسنوا بالحسنى هم الذين يجتنبون كبائر الإثم .. وبالتالي فإنّ الوقوع في هذه الكبائر مع عدم التوبة المقبولة ، يؤدّي إلى عدم تكفير السيئات ، وإلى ساحة الذين أساؤوا بما عملوا ، الذين سيجزيهم الله تعالى على ذلك .. وهذا يتعارض تماماً مع كوْن الشفاعة لأهل الكبائر الذين ماتوا دون توبةٍ مقبولة ..

[ب] – يُبيّن لنا القرآن الكريم أنّ مرتكبي الكبائر ، إن ماتوا دون توبةٍ مقبولة ، ورجحت سيآتهم على حسناتهم ، فسيخلدون في جهنّم ، سواءٌ كانوا من الموحّدين أم من غير الموحّدين ، وسواءٌ كانوا من أمّة محمّد ﷺ أم من غيرهم ..

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة : ٢٧٥]

﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ [النساء : ١٤]

﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء : ٩٣]

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدۡ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴾ [النساء : ١٢٣]

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثۡلِهَا وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ كَأَنَّمَآ أُغۡشِيَتۡ وُجُوهُهُمۡ قِطَعٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مُظۡلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٧]

.. إنّ آكلي الربا هم من الموحّدين ومن غير الموحّدين ، ومن أتباع جميع الديانات .. والذين يعصون الله تعالى ورسولَه كثيرٌ منهم مسلمون .. وقاتلوا المؤمنين موجودون في جميع الأديان .. وكذلك الأمر بالنسبة لعاملي السوء ، ولكلّ الكبائر ..

.. هؤلاء جميعاً إن ماتوا دون توبةٍ مقبولةٍ ، ورجحت سيآتهم على حسناتهم ، سيخلدون في النار .. هكذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم .. فكيف إذن تتمّ الشفاعة بالنسبة لمرتكبي هذه الكبائر ؟!!! ..

.. وإذا قال قائل .. إنّ تأويل ما نُسب إلى الرسول ﷺ [[**شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي**]] ، أنّ هؤلاء الذين سينالون الشفاعة هم من أمّة محمّد ﷺ ، الملتزمين بمنهج الله تعالى .. نقول : لو كان الأمرُ كذلك ، كيف يقوم هؤلاء بالكبائر التي يبيّن لنا القرآن الكريم أنّها لا تُكفَّر ؟!!! .. فالملتزم بما جاء به الرسول ﷺ من عند الله تعالى ، لا يعمل الكبائر ..

[ج] – قوله تعالى ﴿ **أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ** ﴾ [الزمر : ١٩] ، يبيّن لنا أنّ الذين حقّت عليهم كلمة العذاب – ومنهم كما رأينا أهل الكبائر من المسلمين – موحّدين كانوا أم غير موحّدين ، لا يُنقذهم من هذا العذاب حتى الرسول ﷺ ..

[د] – قوله تعالى .. ﴿ **وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [آل عمران : ١٩٢] ، وقوله تعالى .. ﴿ **مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر : ١٨] ، يبيّن لنا أنّ الظالمين ما لهم من أنصارٍ ، ولا شفيع يُطاع .. ومعلومٌ أنّ الظالم قد يكون من الموحّدين ، ومن أيِّ أمّةٍ ، ومن أتباع أيِّ دين ..

[هـ] – ما نُسب إلى رسول الله ﷺ ، من أنّ شفاعته لأهل الكبائر من أمّته – كما رأينا – يردّه القرآن الكريم .. فقيام بعض المسلمين بالكبائر يُوجب عليهم عقوبةً أكبر من العقوبة المترتّبة على غيرهم في حال قيام غيرهم بهذه الكبائر ذاتها .. فالذي يعصي الله تعالى عن علمٍ بحقيقة هذه المعصية وبحقيقة عقوبتها ، عقوبته أكبر ممّن يعصيه عن غير علم ..

.. ويبيّن لنا القرآن الكريم أنّ عقوبة النبيّ ﷺ – فيما لو تمّ وقوع الخطأ – هي ضعف غيره من عامّة المسلمين ، لأنّه أعلم الناس بالمنهج ..

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٧٤ – ٧٥]

وعقوبة نسائه – فيما لو تمّ وقوع الخطأ – هي ضعف غيرهن من نساء المسلمين ، كونهنّ أقرب النساء إلى بيت النبوّة ..

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٠]

والحواريّون الذين طلبوا أن يُنَزِّلَ الله تعالى عليهم مائدة من السماء .. عقوبتهم – فيما لو كفروا بعد رؤيتهم لهذا البرهان الإلهي – ستصبح أكبر بكثير ممّا هي عليه قبل رؤيتهم للبرهان الذي طلبوه ..

﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥]

وهكذا نرى أنّ ارتكاب المسلمين للكبائر في حياتهم الدنيا ، يُرتّب عليهم عقوبةً – فيما لو لم يتوبوا توبةً مقبولة – أكبر من غيرهم الذي يقوم باقتراف الكبائر ذاتها ، لأنّهم أكثر علماً بالحقيقة .. وهذا يُناقض تماماً صياغة الحديث .. فإن كانت هناك شفاعة لهذه الكبائر ، فغير المسلمين أقرب إليها ، لأنّهم لا يعلمون الحقيقة كما يعلمها المسلمون ..

[و] – ما نُسب إلى النبيّ ﷺ من أنّ شفاعته لأهل الكبائر من أمّته ، يتناقض مع رواياتٍ أُخرى تؤكّد أنّه حتى فاطمة بنت محمّد ﷺ ، لا يملك لها النبيّ ﷺ شيئاً ..

صحيح البخاري – حديث (٢٥٤٨) :

حَدَّثَنَا ..... أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا .....

صحيح مسلم – حديث (٣٠٤) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ

[٢] – حديث الشفاعة الكُبرى – التالي – يتنافى مع الكثير من آيات القرآن الكريم ..

صحيح البخاري – حديث (٦٩٥٦) :

حَدَّثَنَا ..... فَقَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونِي فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لَا تَحْضُرُنِي الْآنَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ

شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ أَوْ خَرْدَلَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ..... قَالَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَقُولُ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لَأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

[أ] – هذا الحديث بهذه الصيغة يتناقض مع قوله تعالى ..

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨]

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤]

إنّنا نرى – في هذه النصوص القرآنيّة – كيف تُنفى الشفاعة التي تبدأُ مقدِّماتُها في الآخرة ، بأقوى صيغ النفي ..... فالشفاعة التي تبدأُ مقدّماتُها في الآخرة لا وجود لها ..

.. أمّا الصور القرآنيّة التي تربط الشفاعة بإذن الله تعالى ، وبرضاه ، وباتّخاذ العهد عنده ، وبشهادة الحقّ ، فهي تصوّر حقيقة الشفاعة التي تبدأ مقدّماتُها في الدنيا كما سنرى لاحقاً ، وتؤكّد أنّ الشفاعة تعود في النهاية إلى الله تعالى ..

.. وهكذا نرى في النصوص القرآنيّة الثلاثة السابقة ، أنّه لا تُوجَد نفسٌ تستطيع إسقاط العقاب عن نفسٍ أُخرى ، فلو استطاعت إسقاط العقاب عن نفسٍ أُخرى لكانت قد أجزت عنها شيئاً ، ولكانت قد نصرتها وشفعت لها ، ولكان في الآخرة وجهٌ من أوجه الشفاعة التي تبدأ مقدّماتُها في الآخرة ، وهذا يتنافى تماماً مع صياغة هذه الآيات الكريمة ..

[ب] – دخول الجنّة يرتبط بالعمل وفق منهج الله تعالى ..

﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٣]

﴿ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢]

﴿ وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢]

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [الطور : ١٩]

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة : ٢٤]

﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [المرسلات : ٤٣]

.. فلو فرضنا – جدلاً – أنّ الموحِّدين سيخرجون من النار بالشفاعة ، على الرغم من تقصيرهم بالعمل .. فكيف سيدخلون الجنّة بلا عمل ؟ !!!!!! ..

[ج] – قوله تعالى ..

﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧]

.. يُبيّن لنا أنّ غفران الله تعالى – ووقاية عذاب الجحيم – يناله التائبون المتّبعون لسبيل الله ، وبالتالي فغير التائب وغير المتّبع لسبيل الله تعالى ، لا ينال هذا الغفران ، ولا ينال الوقاية من النار ، وبالتالي لن تنفعه الشفاعة (التي تبدأ مقدّماتُها في الآخرة) ، وإن كان من الموحّدين ..

[د] – حينما تكون الشفاعةُ مخصوصةً لنوعٍ من البشر دون الآخرين ، أو لدينٍ محدّدٍ دون غيره من الديانات السماويّة ، أو لمذهبٍ محدّدٍ .. فإنّها في النهاية ظلمٌ لهؤلاء الآخرين ، لأنّها – حين ذلك – دون معيار حقٍّ يرتبط بالإيمان والعمل .. وإن كانت وفق معيارِ إيمانٍ وعملٍ يشمل جميع البشر (وهي كذلك) ، فلا بدّ أن يكون هذا المعيار من جملة المعايير التي يُحاسب عليها البشر في الآخرة ، قبل دخولهم إلى النار أو إلى الجنّة .. وحين ذلك فإنّ مفهوم الشفاعة بالحيثيّة التي ترويها الأحاديث – كما رأينا – لا معنى لها ..

[هـ] – هذا الحديث بهذه الصياغة يتناقض ما بين بدايته ونهايته ، ففي بدايته يذهب الناس يوم القيامة إلى آدم وبعض الرسل عليهم السلام ، وهذا يكون قبل الدخول إلى الجنّة وإلى النار : **[[إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ]]** .. وفي داخل الحديث لا يذكر الرسول ﷺ إلاّ أُمّته ، مع العلم أنّ الذين أتوا إليه ليشفع لهم هم الناس على مختلف أديانهم وليس فقط أمّته : **[[فَيَقُولُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي]]** .. ويُخرِج الرسول ﷺ المشفوعَ لهم من النار ، مع العلم أنّه لم يتمّ الدخول –

حتى تلك اللحظة – إلى النار : [[**فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيَقُولُ انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ**]] ..

[٣] – إنّ الجزم بأنّ العبارة القرآنيّة : ﴿ **مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ في الصورة القرآنيّة التالية : ﴿ **وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء : ٧٩] ، لا تعني إلاّ الشفاعة الكُبرى للرسول ﷺ يوم القيامة ، وذلك اعتماداً على الحديث التالي .. هذا الجزم لا تُسعفه الدلالات التي تحملها الصياغة اللغويّة لهذه الصورة القرآنيّة ..

صحيح البخاري – حديث (٤٣٤٩) :

حَدَّثَنِي..... قَالَ سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًا كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ يَا فُلَانُ اشْفَعْ يَا فُلَانُ اشْفَعْ حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ

سنن الترمذي – حديث (٣٠٦٢) :

حَدَّثَنَا ..... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ سُئِلَ عَنْهَا قَالَ هِيَ الشَّفَاعَةُ .....

.. إنّ الشفاعة التي تصفها الروايات ، والتي لا يكون لها إلاّ الرسول ﷺ – كما رأينا في صحيح البخاري حديث (٦٩٥٦) – هي مسألة معلومة ومعروفة ووحيدة ، ولا يقدر عليها إلاّ شخصٌ واحدٌ هو النبيّ محمّد ﷺ ، وبالتالي هي ليست نكرةً ، وليست مَرْتبةً ما من مجموعة مراتب ..

.. ولو نظرنا إلى الصورة القرآنيّة التي قيل إنّها تصف هذه المسألة ، لرأينا أنّ العبارة القرآنيّة ﴿ **مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ فيها ، تأتي بصيغة نكرة موصوفة ، و لم تأت بصيغة المعرفة

الموصوفة .. فالشفاعة الكُبرى – حسب ما تقول الروايات – تُناسبها الصياغة (عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ **المَقَامَ المَحْمُودَ**) ..

.. ولذلك .. حتى الذين صاغوا عبارات الرواية الحاملة لهذه المسألة [الحديث : (٤٣٤٩) في صحيح البخاري] ، ونسبوها إلى ابن عمر ، لم يستطيعوا القفز فوق هذه الحقيقة اللغويّة .. فالعبارة **[[فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ]]** في الحديث المذكور ، تؤكّد هذه الحقيقة ..

.. إنّ العبارة القرآنيّة **﴿ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾** ، تُصوِّر درجة بعثه ﷺ ، المرتبطة بمقدار سموّ درجة تهجّده : **﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾** ..

.. ولذلك لا يمكن الجزم بأنّ العبارة القرآنيّة **﴿ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾** ، تعني بعثه ﷺ مقاماً محدّداً ، لا ثاني له ، هو الشفاعة الكُبرى للبشر ، كما هو وارد في الروايات ..

.. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن .. ما هي الشفاعة ؟ ..

.. الجذر اللغوي للشفاعة هو الجذر : (ش ، ف ، ع) .. ودلالاته تدور ضمن إطار خلاف الوتر ، وبالتالي ضمن إطار الزوج .. والشفاعة – كما تُستنبط من مشتقّات الجذر (ش ، ف ، ع) في القرآن الكريم – هي المزاوجة بين المُراد وبين طلبِ تحقيقه .. أي هي : طلب الشافِع بتحقيق مُراد المشفوع له ..

.. لقد رأينا أنّ الإرادة تتحوّل إلى مشيئة (واقعٍ ملموس) بالعمل ، وبالأخذ بالأسباب ، أي بالمزاوجة بينها وبين العمل .. أمّا حينما يُفقَد العمل ، ولا يُؤخَذ بأسباب تحقيق المُراد ، فإنّ الإرادة لا تتحوّل إلى واقعٍ محسوس (مشيئة) ، وتبقى مجرّد هدف وغاية في نفس المُريد ..

.. فالشفاعة هي مزاوجة الدعاء إلى الله تعالى والطلب منه والتوسّل إليه جلّ وعلا (حيث يقوم بذلك الشافِع) ، مع مُراد المشفوع له ، لتحقيق هذا المراد ، لأنّ المشفوع له

لم يُزاوِج إرادتَه هذه بالعمل وبالأخذ بالأسباب في حياته الدنيا .. إذاً الشفاعة هي لمن ملك إرادةً خيّرة صادقة للعمل في حياته الدنيا ، و لم تسعفه الظروف لتحقيق هذه الإرادة إلى عمل ..

.. ولو نظرنا إلى مشتقّات الجذر (ش ، ف ، ع) في القرآن الكريم ، من منظار المنهج السليم لتدبّر كتاب الله تعالى ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ ﴾ [آل عمران : ٧] ، لرأينا أنّ الشفاعة الواردة في كتاب الله تعالى ، جميعها مقدّماتها في الدنيا ، وليس في الآخرة .. وفي الآخرة يتمّ قبول هذه الشفاعة (قبول مزاوجة دعاء الشافِع وتوسّله إلى الله تعالى مع إرادة الخير في الدنيا للمشفوع له ، من أجل رفع هذه الإرادة إلى مستوى العمل المأجور) ، أو يتمّ عدم قبولها ، وكلّ ذلك وفق معايير تتعلّق بصدق الإرادة – في الدنيا – للمشفوع له ..... لننظر إلى الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ [النجم : ٢٦]

.. إنّ العبارة القرآنيّة ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ تُصوِّر لنا بعض الملائكة الآن (قبل الآخرة) ، الموجودين في السماوات ..... والأَوْلى بتفسير العبارة القرآنيّة ﴿ لَا تُغۡنِى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ ، أنّها تعني شفاعتهم الآن (قبل الآخرة) ..

.. وحتى لو تمّ سحب هذه الشفاعة إلى الآخرة ، فإنّ العبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ ، ساحتها الدنيا حصراً ، لأنّها تصوّر لنا مقدّمات قبول الشفاعة ، ومقدّمات قبول الشفاعة هي حصراً في الدنيا (دار الامتحان) ، لأنّها تتعلّق بالإرادة الطاهرة للمشفوع لهم ، والتي أرادوها في الدنيا و لم يستطيعوا ترجمتها إلى عملٍ حسّيٍّ ..

.. فَسَحْبُ مقدّمات هذه الشـــفاعة إلى الآخـــرة ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰ ﴾ ، يتنافى مع الآيات الكريمة التي تنفي أيّ شفاعة تبدأ مقدّماتها في الآخرة كما رأينا ..

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨]

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤]

.. وهكذا يكون تقدير الصورة القرآنيّة ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ ، هو : [[وكم من ملكٍ في السماوات لا ينفع دعاؤهم وتوسّلهم – سواءٌ في الدنيا أم في الآخرة – لمزاوجة هذا الدعاء والتوسّل مع إرادة البشر الخيّرة التي أرادوها في الدنيا و لم يستطيعوا مزاوجتها مع العمل ، من أجل رفع هذه الإرادة إلى مستوى العمل المأجور ، إلاّ من بعد أن يأذن الله تعالى بأن تتمّ هذه المزاوجة لمن يعلم الله تعالى صدق إرادته ، ويرضى عن هذه الإرادة الطاهرة ، وبأنّها أهلٌ لدخول ساحة مشيئة الله تعالى ورضاه ﴿ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾ ، وبالتالي لرفعها إلى مستوى المشيئة]] ..

.. والشفاعة في عالم الدنيا كمقدّمات .. نراها في الصور القرآنيّة التالية ..

﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥]

﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ ﴾ [النساء : ٨٥]

﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ﴾ [يونس : ٣]

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٨]

.. فالشفاعة التي تنفع في الآخرة ، يحتاج فيها المشفوع له إلى إرادة طاهرة لعمل الخير ، أرادها في الدنيا (دار العمل) .. هذه الحقيقة نراها في الصورة القرآنيّة التالية ..

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[طه: ١٠٩]

.. فالعبارة القرآنيّة ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ ﴾ ساحتها الآخرة .. والعبارة القرآنيّة ﴿ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ ساحتها الدنيا ..

.. والنصوص القرآنيّة التالية تؤكّد هذه الحقيقة ..

﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم : ٨٧]

﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ [سبأ : ٢٣]

﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف : ٨٦]

.. فقوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ في النصّ الأوّل ، يصوّر لنا العهد في الحياة الدنيا ، وبالتالي فمقدّمات هذه الشفاعة ساحتها الدنيا .. وكذلك قوله تعالى ﴿ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ ﴾ في النصّ الثاني .. وكذلك قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ في النصّ الثالث ..

.. ولّما كان الكافرون والظالمون لا يملكون إرادة خيرٍ في حياتهم الدنيا من الممكن مزاوجتها مع دعاء الشافعين ، فإنّهم لا تنفعهم الشفاعة أبداً ..

﴿ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴾ [الشعراء : ٩٩ – ١٠٠]

﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [غافر : ١٨]

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [المدّثّر : ٤٢ – ٤٨]

.. إذاً من لم يملك مقدِّمات الشفاعة (الإرادة الخيّرة الصادقة) في الدنيا ، لا تُفيده أيُّ شفاعة في الآخرة ، لأنّ أحد زوجي الشفاعة غيرُ موجود .. وهكذا فالشفاعة التي تبدأ في الآخرة لا وجود لها على الإطلاق ..

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤]

.. فقوله تعالى ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ ﴾ يعني يوم الآخرة .. وهذا اليوم لا بيعٌ يبدأ فيه : ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ﴾ ، بينما في الحياة الدنيا كان الناس يبيعون .. ولا خلّة تبدأ فيه : ﴿ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ ، بينما في الحياة الدنيا كانت الخلّة بين الكثير من أفراد البشر .. فالخلّة تبدأ في الدنيا ، وتنتهي في الآخرة إلاّ للمتّقين ..

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف : ٦٧]

.. وقوله تعالى ﴿ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ﴾ يُماثل تماماً ﴿ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ ﴾ .. فالله تعالى يقول .. لا بيعٌ ولا خلّةٌ ولا شفاعةٌ تبدأ في الآخرة ، فالبيع والخلّة والشفاعة مسائل تبدأ في الدنيا ، ويستفيد الإنسان – إيمانيّاً – من نتائجها في الآخرة ..

.. والنصّان القرآنيّان التاليان يؤكّدان هذه الحقيقة ..

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ٤٨]

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة : ١٢٣]

فالشفاعة التي لا تُقبل ولا تنفع ، هي التي تبدأ مقدّماتها في الآخرة ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا ﴾ دون امتلاك مقدّماتٍ لها في الدنيا من إرادة خيرٍ ، كما رأينا ..

.. والشفاعة جميعها تعود إلى الله تعالى ، فهي معيارٌ من معايير حساب الله تعالى للبشر دون استثناء ..

﴿ وَأَنذِرۡ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحۡشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ لَيۡسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ٥١]

﴿ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ ﴾ [الأنعام : ٧٠]

﴿ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ [السجدة : ٤]

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [الزمر : ٤٤]

.. وهكذا نرى أنّ الشفاعة كما يصفها الله تعالى في كتابه الكريم – لا كما لُبِّس على الرسول ﷺ – هي مزاوجة الإرادة الخيّرة للمشفوع له (والتي أرادها في حياته الدنيا) ، مع دعاء الشافع وطلبه غفران الله تعالى للمشفوع له ، أي مع طلب رفع هذه الإرادة

إلى مستوى المشيئة ... فصاحب هذه الإرادة عجز عن تحقيقها بالعمل وبالأخذ بالأسباب في حياته الدنيا ..

الشفاعة	=	**إرادة خيّرة للمشفوع له أرادها في حياته الدنيا**	+	**دعاء الشافِع وطلبه من الله تعالى رفع إرادة المشفوع له إلى مستوى العمل في ميزان الآخرة ..**